الفصول

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

طيرى أمانيَّ النفوس وغرِّدى ... فلقد دعاك الروض خير دعائهِ
هذى عيون للطبيعة قد رنت ... فى الزهر من أكمامه وخبائهِ
بَسَطَ الربيعُ على الحياة رِدَاءه ... يا ليتها أبداً تُرَى بردائه
بل ليته بُرْدٌ تَخيطُ على هوى ... هذي النفوس لكى تُرى بروائه
والشى لولا أن يَرُوعَ بفقده ... ما شاق عند قدومه بلقائه

* * *

لا كالشتاء تزايلت أوراقه ... كتزايل المهجور عن قرنائه
تتناثر الأزهار عن أفنانه ... كتناثر اللذات من أهوائه
وتخال إذ دَلَفَ الشتاء كأنما ... ساق السنا بِدَبُورِه ورُخائه
هَرَبُ الضياء من السحاب وريحه
هَرَبَ الكَعَاب من الهوى وقضائه
فر الخريف من الشتاء وخلفه ... عادٍ يريد لحاقه بجرائه
مثل المريض يفر من عادى الردى ... هيهات ذا والدهر من أعدائه
راع الشتاء بقُرِّه فكأنما ... أنفاس ثغر الموت قُرَّ هوائه
والريح مثل فم الشتاء وصوتها ... شكوى العجوز يخاف من أبنائه
نَقِمَ العُقُوقَ فقام يشكو أمره ... للناس ينشد آسياً لبكائه
والأرض تنظر فى فروج أديمها ... نظر الفقير إلى ثقوب ردائه
من بعد ما نفدت نفائس كنزه ... سَرَفاً وشح العيش بعد سخائه
وكأنما دجن الشتاء مُقَطِّباً ... ذكرى العجوز لزهوه وفَتَائِهِ
وكأنما دوح الخمائل فى الدجا ... نشوى شياطين انتشت بسقائه
شربت من الإظلام حتى أكثبت
تبغى النهوض كمُكْتِبٍ من دائه
فى كل غصن فى الظلام نواظر ... كنواظر للغيب خلف كِفَائه
وكأنما دوح الظلام ثواكل ... لبست حداد الثُّكلِ فعل نسائه
تحنو عليك غصونها فكأنما ... تبغى سرار السمع من إصغائه
والدوح يهفو كالمؤرِّقِ فى الكرى
يلوى على الأفنان فضل كسائه
تتردد الأرواح فى أفنانه ... كتنفس الرعديد فى لأوائه
وكأن فى إطراقها وسكونها ... فِكَرُ المصيخ لروحه ونِدائه
ياليت بعض العمر تُقْطَعُ بِيْدُهُ ... وَثْباً ويُمْهِلُ فى سنىِّ رخائه
كالسِّفْرِ تقرأ بَعْضَهُ مُتَرَيِّثاً ... جذلا وتطوى بعضه لهرائه
أو ليت حادى الأرض يعكس سيرها
عن بعض دورتها بوقع حدائه
أو ليت هذا الدهر عقرب ساعة ... يَلْوِى به عن نحسه وشقائه
آمال أمس كزهرة قد صوَّحَتْ ... عود الربيع مُجَدِّدٌ لرجائه
يا نفس لا تأسَىْ لعمر قد مضى ... بربيعه زمن أتى بشتائه
تتشوَّفين إلى قديم عهوده ... نظرَ الغريق إلى السُّهَى وسمائه
بُشْرَاكِ خلف الموت لو تردينه ... نبت الربيع يروق فى غلوائه
كالطير بعد الصيف تترك عشها ... نحو الجنوب تَرود أرض ثوائه

* * *

عطف النسيم على الأزاهر هامساً ... أنَّ الربيع سعى إلى ندمائه
أنَّ الربيع أخا الصبيحة مُقْبِلٌ ... إقبال وجه الحِبِّ فى لألائه
كالطائر بَشَّرَت النُّوُومَ بأنْ بدا ... فجرٌ لِعِيدٍ كان قيد رجائه
والقلب مثل الطير فى وَضَح الضُّحَى
يتلو على الإصباح آى غنائه
وكأنما أمُّ الخلائق دوحة ... من قبل آدم فهي من قربائه
تشدو كشدو الأم ناح وليدها ... تحنو عليه لصونه ووقائه
والريح طير شاد فى أفنانها ... وكرا كأن الزهر من أبنائه
وكأن أجنحة الملائك نسمها ... نسم يطب برفقه وصفائه
وكأن ينبوع الحياة غديرها ... خُلْدُ الصِّبَا فى جرعة من مائه
والقلب مثل النهر باشَرَ ماءهُ ... جسم الحبيب تراه فى سودائه
أهْوَاكِ يا روح الربيع فهيِّئِي ... جسماً كجسم الغيد فى لألائه
ثم اخطرى بين الخمائل فى الضحى ... رقص المدلِّ بحسنه وبهائه
فلعل فى قبلات ثغرك برء ما ... أعْيا الأنام بِحُكْمِهِ وقضائه
أرد الخلود بقبلة وبضمة ... تروى ظماء الخلد من لمائه
والزهر يبعث بالطيور إلى الضحى ... تُفْضِى إلى الآفاق من أنبائه
الأرض أم للخلائق كلهم ... والشمس بَعْلٌ شاقها بفتائه

فالناس والأطيار فى وَضَح الضحى والضوء من خَلَلِ الغصون كأنه طير الفَرَاشِ نراه من شَجَرَائه
والزهر فى الأكمام من أبنائه وكأنه والقلب يذكو شجوه شرر الغرام يطير من حوْبَائه
النار والأمواه من آبائنا والنار والأمواه من آبائه نَثَرَتْ ذُكاء على البسيطة سجدا
يهنيك يا دوح الخميلة بعده نسيان نيسان وطيب هوائه فاذخر ليوم الدجن كنز ثرائه
تنسى الربيع كأنه مازفه نغم البلابل فى مثير حِدَائه ولكل شىء منطق يشدو به والنفس تعرف كنه سحر غنائه
لا تمنع المشتاةُ عَوْدَ زهوره وأريجَ نسمته وحَلْيِ كسائه تتلو عليك الطير طِيْبَ ثماره وَأَرِيجَ روضته ورقة مائه
يا ليت طيب العمر يُنْسى وِرْدُهُ فأبيتُ مثلك لا أحن لمائه والحسن ظل للسعادة فى الورى إن السعادة لا تُرَى بِفِنَائِهِ
لكنَّ طيب العمر ليس بعائد لأخى صَدًى يُظْمِيه صَوْبُ بكائه ظل الجِنَانِ على البسيطة واقع فاستقبل اللذاتِ من آلائه
وترى كحالات النفوس تغيرا في روضه وسمائه ونهائه فكأنها كون حلمت بحسنه حتى نُقِلْتَ إلى ذرى خضرائه
فكأنما للكون روح خُلْقُه يبدو لنا فى غيمه وضيائه
تتغير الأشياء فوق وجوهه لتغير الأشجان فى حَوْبَائه وكأنما زهر الخميلة إن بدا حُلُمُ الهوى فى طيبه ووضائه
من لي بأجنحة الزمان أهيضها كى لا يطير بصفوه ورخائه والطير أرواح الزهور وصيفها عهد الشباب يروق فى لألائه
أوْليته الغَرِدُ الحبيسُ أقيمُهُ كيما أُرَاح لشدوه وغنائه ضحك الزمان فذاع من ضحكاته صيف يعيد الحب فى غلوائه
كى يذكر العهد الأنيق وأوجهاً كانت تُطِلُّ على وذيلة مائه والقيظ يزفر بالهجير كأنما يتنفس الولهان من بُرَحائه
خلع الجمال قناعه وسعى إلى عُشَّاقِهِ وعُفَاتِهِ وظِمَائِهِ فكأنما مرح الحياة وحسنها لهب ترقرق فى خَفِيِّ دمائه
والمرء لولا صيفه وربيعه ماذاق حُلْمَ السعد فى لأوائه وكأنما نغم الطيور أريجها يُسْقَاهُ زهر الروض فى أندائه
والروض باب للجِنَانِ وثغرة منها ترى الفردوس خلف فنائه فَيُخِيلُهُ نشرا يَضُوعُ ورونقا يشتار منه النحل أَرْيَ عطائه
وكأنما صبغ الأزاهرَ صابغٌ فتكاد تأخذ منه إثر طلائه ودت ذواتُ الحسنِ أن حُلِيَّهَا كحُلِيِّهِ ورداءها كردائه
والضوء غُدْرَانٌ ترقرق تِبْرُهَا وأراق منها الأُفْقُ فَضْلَ إنائه مَرَحُ الكعاب الرُّودِ فى خطراتها كالنهر يرقص فى ترقرق مائه
واللونُ شِعرٌ للطبيعة وقعه فى العين وقع اللحن فى سودائه والريح تعبث بالغصون كأنها طفل يعيث على رءوس إمائه
شهد الشتاء بأن أُفْقَ سمائه أدنى إلينا من قَصِيِّ فضائه وترى جذور الدوح مثل أصابع بسط الشحيح يصون كنز ثرائه
والنفس تعظم فى الربيع كأنها فى زهره ونَسِيمه وصفائه وكأنما نغم البلابل مَطْرَةٌ فوق اللجين شجا مُرِنُّ إنائه
والضوء خمر للنفوس ونشوة ودم الحياة يشام فى أثنائه تَنْدَى على القلب الجديب فينثنى روضاً يرفُّ بزهره وأضائِهِ
والأرض كالحسناء قُدَّ قميصُها فبدت محاسن جسمها وَوَضَائِهِ والزهر فى وَضَح الصبيحة قد صحا صحو المفيق من الكرى وقضائه
فكأنما رفع الربيع حجابها فانجاب ستر الحسن عن حسنائه وجلت ذُكاء ندى الزهور كأنها أم الوليد تزيل فضل بكائه
والضوء كالحسناء بُزَّ رداؤها فأماط عنها العُرْيُ ستر غطائه حتى إذا اشتد الهجير حسبته نشوان أثمله اللظى بسقائه
والقلب مثل الطير هِيضَ جناحه فى نَزْوِهِ وحنينه وغنائه وإذا الأصيل علا السماء حسبته ذا لوعة حانت نوى قربائه
والطير أفواه الرياض فشدوها أبدا يزجّي الدَّهْرَ وَقْعُ حدائه وحمى على قُبَلِ الظلام ثغوره كمُشَقَّقٍ مُتَسَتِّرٍ بردائه
وكأنما نغم الخفيف هواتف فى القلب تدوى منه فى أنحائه وتراه يرنو للنجوم كأنها حُلُمٌ يُطِلُّ عليه فى حَوْبَائِهِ